فريق موقع الآجري للتفريغ
سلسلة تفريغات "الثالثة"
(٢٥)

شَرحُ

كِتَـــابِ الكَبَـــائِرِ وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايْمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ والعِشْرُون: اليَمِينُ الغَمُوس

النسخة الإلكترونية الأولى
www.ajurry.com
[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ والعِشْرُون

اليَمِينُ الغَمُوس

قَالَ عَبْدُ اللهِ بن عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ-: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ: الَّتِي يُتَعَمَّدُ فِيهَا الْكَذِب، سُمِّيتْ غَمُوسًا لِأَنَّهَا تَغْمِسُ الْحَالِفَ فِي الْإِثْمِ.

[الشرح]

«اليَمِينُ الغَمُوسُ»: قيل «الغَمُوسُ» لأنها تَغْمِس صاحبها في الإثم وفي العقوبة وفي النار؛ ولهذا سُميت غَمُوسا لعِظَم شأنها وشدة خطورتها، قال: «اليَمِينُ الغَمُوسُ».

قال: (قَالَ عَبْدُ اللهِ بن عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ-: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ» أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ.

قال: (وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ: الَّتِي يُتَعَمَّدُ فِيهَا الْكَذِب، سُمِّيتْ غَمُوسًا لِأَنَّهَا تَغْمِسُ الْحَالِفَ فِي الْإِثْمِ.)

واليمين الغموس كما بيّنت هي أن يحلف يمينًا فاجرةً كاذبةً خاطئة يتعدّى بها على حقوق الناس ويأخذ بها أموالهم، فهي يمين غموس وهي من كبائر الإثم.

[المتن]

وقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ-: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: مَنْ ذَا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أَنِّي لَا أغفرُ لِفُلانٍ؟! قَدْ غَفَرتُ لهُ وأحبطُّتُ عَمَلَكَ».

[الشرح]

هـٰذا من أشد ما يكون في اليمين الغموس: التألِّي على الله -جلّ وعزّ-، هـٰذا من أشد ما يكون في اليمين الغموس؛ التألي على الله، ومن التألِّي على الله أن يقول القائل: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ» يحلف بأن الله لا يغفر لفلان؛ يعني لِمَا يراه في شخص من كثرة فسقه أو كثرة عصيانه أو

كثرة مخالفاته، ثم يحلف يمينا أنّ الله لا يغفر له فهذا فيه تألّي على الله، الله -عزَّ وجلّ- مغفرته وسعت كل شيء، ورحمته كتبها لمن شاء من عباده، فمن قال :"والله لا يغفر الله لفلان" أو "لا يرحم الله فلانا" فهذا تَحْدِيث وتألّي على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وقول على الله بلا علم، فهي يمين غموس، يمينٌ فاجرة.

قال: («قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: مَنْ ذَا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أَنِّي لَا أغْفِرُ لِفُلانٍ؟! قَدْ غَفَرتُ لهُ وأحبطْتُ عَمَلَكَ»)، وحبوط عمل هـذا المتألّي دليلٌ على أن تألّيه كبيرة، دليلٌ على أن تأليه على الله كبيرة من كبائر الإثم أوجبت حبوط عمله.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ-: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمُسْبَلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ».

[الشرح]

ثم ذكر هـذا الحديث فيمن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، فذكر «الْمُسْبَلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنفِقُ -أو الْمُنَفِّقُ- سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ» فهـذه الأمور الثلاثة كلها من الأمور العظيمة؛ بدليل أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فهي كلّها من عظائم الذّنوب؛ مع أن بعض النّاس فيما يتعلق بإسبال الإزار يرون أنه من الأمور التي ليست بالمهمّة وليست بالعظيمة، وإذا قيل لهم في هـذا الأمر تضايقوا وتضجروا وقالوا: "كل شيء حرام؛ يعني ماذا يضير إذا كان ثوب الإنسان يسترخي قليلا ويلامس الأرض، ماذا في هذا؟!" ولو أنهم تخلّوا عن أهوائهم وقرؤوا هـذا الحديث وحده -وهو في صحيح مسلم- لكفاهم زاجرا، يقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، وهـذا الحديث مفيد جدًّا في مناصحة المسبل بأن يُذكر له الحديث أولًا؛ يعني يُذكر له هـذه المقدمة أولا، يقال: جاء في صحيح مسلم عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، ثم يقول: نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من هـذه؛ وألّا نكون من هؤلاء، ويُوضح لهم خطورة الأمر، وإذا استشعرت القلوب خطورة الأمر يقول: سبحان الله أوّل واحد من هؤلاء «الْمُسْبَلُ إِزَارَهُ» نسأل الله العافية،

هـٰذا له وقع، وجربه الكثير من الإخوة له وقع في إصلاح الناس في هـٰذا الأمر، إضافةً إلى الأحاديث الأخرى، والناس فيهم خير ولله الحمد؛ يعني إذا ذُكرت لهم النصوص وعُرضت عليهم الأدلة بأسلوب مناسب وطريقة مناسبة وبُحسن تلطف في النصيحة ينفعهم الله بذلك.

وعمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لما طعنه المجوسي جاءه غلام وقال له: "هنيئًا لك يا خليفة رسول الله، صحبت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقُتلت في سبيل الله" ثم مشى الغلام بعد هـٰذه التهنئة لعمر -رضي الله عنه-، فلما مشى قال عمر -رضي الله عنه-: "ادعوا لي الغلام" والدم يثعب من بطنه، إذا سقوه الحليب خرج من بطنه، وكان في تلك الحال يُغمى عليه ويُفيق والدماء تسيل من بطنه، فقال: "ادعوا لي الغلام"، فدعوا له الغلام، فقال له: "يا غلام ارفع ثوبك"؛ يعني لم ينس المناصحة في هـٰذا الباب في هـٰذه الحالة!، "**ارفع ثوبك، فإنه أتقى لقلبك وأنقى لثوبك**"، فالأمر ليس بالهيِّن، كيف يكون هيِّنا ونبينا -عليه الصّلاة والسّلام- يقول: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»؟!، في مثل هـٰذا الحديث الصحابة في موضع آخر قالوا: "خابوا يا رسول الله وخسروا من هم؟"، ومن يسمع هـٰذا الكلام لابد أن يؤثر فيه، وكيف لا يؤثر فيه ونبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»؟!، سبحان الله!، كيف يتغافل الإنسان ويتعامى ويتّبع هواه ويدع قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في التحذير الكبير من هذا الأمر؟!، وفي الحديث الآخر قال: «**مَا أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**».

وهنا أذكر أمرًا يدلّ على حال المُتَّبِع هواه، بعض المستقيمين وقفوا على بعض الأحاديث الصحيحة: «**أُزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ**» وعملوا بهذا الحديث، وبعضهم عمل بقوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**مَا أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**» فجعل إزاره فوق الكعب، وهذا كله سُنَّة، المهم ألّا يسترخي الإزار ولا ينزل عن الكعب، فأولئك الذين جعلوا إزارهم إلى أنصاف الساقين صاروا مثارًا للسّخرية من بعض غير المُتديِّنين ويتهكّمون بهم ويسخرون منهم، هـٰذا قبل سنوات، ثم بعد فترة من الزمان حدثت موضة في الغرب يلبسون البنطال إلى الركبة؛ فقلدهم هؤلاء الشباب ولبسوا البنطال إلى الركبة وصاروا يخرجون بالبنطال إلى الركبة في الشارع!، وكانوا قبل سنوات

قلائل يسخرون ممن إزاره إلى نصف السّاق! وهو متّبع للسنة، وهم فيما بعد جعلوا بنطالهم إلى الركبة متبعين للغرب، وكانوا قبل فترة قليلة يسخرون ممن إزاره إلى نصف الساقين.

فعلى كلّ حال هذه مصيبة المتبع لهواه، فمصيبة المتبع لهواه يصبح في مثل هذه المتزلقات عياذًا بالله.

وعلى كلِّ حال الواجب على المسلم أن ينصح لنفسه، وأن يُعطِي نفسه قاعدة في هـٰذا الباب أن السنة كلها بركة، كلها خير، كلها فضيلة، ويطّرح هواه، ويتبع سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

[المتن]

وَعَنِ الحَسَنِ بْنِ عُبيدِ اللهِ النَّخعِي، عَنْ سَعِيدِ بنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ». وفِي لَفْظٍ: «فَقَدْ أَشْرَكَ» إِسْنادُهُ عَلى شَرْطِ مُسْلِم.

[الشرح]

هذا أشد ما في مسألة الحلف؛ أن يحلف الإنسان بغير الله، والحلف بغير الله شرك وكفر كما هو واضح؛ كأن يحلف بالنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أو بالكعبة أو بأي مخلوق من المخلوقات، الحلف بالله -جل وعلا- «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ»، الحديث الآخر قال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا أُمَّهَاتِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ»، وفي حديث ابن عمر هنا قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ» أو «أَشْرَكَ»، وهذا أشد ما يكون في باب الحلف؛ ولهذا من فقه الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- قول ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "لَأَن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا"، فالحلف بالله توحيد، والكذب كبيرة، لاحظ في كلٍ من الأمرين حتى يتبين لنا الأمر، في كلٍ من الأمرين حسنة وسيئة:

الأمر الأول: فيه حسنة التوحيد، وكبيرة الكذب.

والأمر الثّاني: قال: "أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا" فيه سيّئة الشّرك، وفضيلة الصّدق، وعندما تُقارن تجد أنّ حسنة التّوحيد لا توازيها حسنة، وتجد في المقابل أنّ سيّئة الشّرك مُبطِلة للحسنات، فهـٰذا من فقه الصّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- "لَأَن أحلف بالله كاذبا أحبّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقا"، وهو بعيد عن الأمرين؛ ولكن هـٰذا لتوضيح الأمر ولبيان الحكم.

[المتن]

وقال –صلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ–: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ». قِيلَ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ».

[الشرح]

تقدم معنا هذا الحديث، نعم.

[المتن]

وَصَحَّ تَغْلِيظُ إِثْمِ الْحَالِفِ كَاذِبًا بَعْدَ العَصْرِ، وَعِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

[الشرح]

لفضيلة المكان؛ يعني الروضة جاء في فضلها «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِّيَاضِ الْجَنَّةِ»، وعادةً الإنسان عندما يكون في زمانٍ فاضل وفي وقتٍ فاضل قد صلّى العصر في المسجد، وجالس في الروضة، فهي في مكان فاضل ووقت فاضل، وعلى إِثْرِ عبادة، ثمّ يحلف فهذا أشدّ إثما وأعظم ذنبا.

[المتن]

وَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مُتَّفَقٌ عَليهِ.

[الشرح]

الحلف باللات والعزّى شرك، والشرك لا يكون الخلاص منه إلاّ بالرّجوع إلى التوحيد، و(لا إلــٰـه إلا الله) هي كلمة التّوحيد، نعم.

[المتن]

وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ– مَنْ هُوَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالحَلِفِ بِهَا، فَرُبَّمَا سَبَقَهُ لِسَانُهُ بِالْحَلِفِ بِهَا، فَأَمَرَهُ [النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–] أَنْ يُبَادِرَ بِقَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

[الشرح]

حديث العهد بالشيء: إذا اقتنع بالحكم قد ينفلت لسانه بحكم مألوفه ومعتاده، قد ينفلت لسانه بحكم مألوفه ومعتاده، و قد أرشد النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى (لا إلــٰـه إلاّ الله) لتكون كفّارةً،

ففي كلّ مرّة قد انفلت لسانه وأتى بهذا الحلف الذي كان قد اعتاد عليه وسبق أن اعتاد عليه، فيأتي بهذه الكفّارة، يأتي بهذه الكفّارة يقول: (لا إلــٰـه إلا الله).

[المتن]

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «لَا يَحْلِفُ عَبْدٌ عِنْدَ هَذَا الْمِنبَرِ عَلَى يَمِينٍ آثِمَةٍ، وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ رَطْبٍ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ.

[الشرح]

مثل ما مرّ لفضل المكان، عندما يكون الإنسان في مسجد ولاسيما مسجد النّبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أو في الرّوضة ثمّ يتغافل عن هذا المكان وهيبته وفضيلته ثمّ يحلف اليمين الفاجرة ويقتطع بها أموال النّاس، فلا شكّ أنّ هذا أعظم إثما.